من تراثنا الأدبي

ما ألف عن النساء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب، فتقضنا الأحاديث نقضاً، ثم ملنا إلى ذكر النساء وأخبارهن، والعرب وآرائها فيهن؛ وكان في المجلس متأدب فج العلم، أخذ اللغة عن الأعاجم وتخرّج على طرائقهم ونهج مناهجهم، ونما في تفكيره منحى لا استقامة فيه. فذهب إلى استخفاف العرب بالنساء، وادعى أنهم لم يحفلوهن ولم يخصوهن بالتآليف، أو يفردوا لهن التصانيف؛ ودعم زعمه هذا بأقوال باردة لبعض المستشرقين

وقد أردت تتبّع هذا الزعم بالرد ... لتبيان طرافة جهل هذه الفئة، وضيق علمها، وأفن رأيها، وسخف دعواها؛ واستقرأت تراث الإسلام والعرب الزاهر، فإذا فيه تآليف رصان وتصانيف رِلاح خصّوها بالنساء، وجلّوا فيها عن أسرار خفيّات وأخبار مكنونات، ولم يدعوا أمراً أدركوا صلته بهن إلا تكلموا عليه وبحثوا فيه

وليت أن هذا التراث العربي كان قد سلم ... إذن لرأينا من أخبار النساء كل معجب مطرب ... ولوجدنا فيه سيرهن وأحاديثهن وأسرارهن منذ الجاهلية حتى عصور الانحطاط:

١ — فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة، منها: كتاب « الموءودات » لهشام بن محمد ... بن الكلبي النسابة الأخباري[1]، وكتاب « المعروفات من نساء قريش » له أيضاً، وكتاب « المردفات من قريش » ألفه علي بن محمد المدائني المحدث المتكلم[2]، وكتاب « بغايا قريش في الجاهلية » ألفه الهيثم بن عدي الراوية الأديب الأخباري[3] ... وغيرها

(١) مات سنة ٢٠٦ أنظر أخباره في فهرست ابن النديم. ومعجم الأدباء ج ١٩ (دار المأمون)

(٢) ولد سنة ١٣٥ مات سنة ٢٢٥. أنظر الفهرست ومعجم الأدباء ج ١٤

(٣) مات حوالي سنة ٢٠٨هـ. أنظر وفيات الأعيان ج ٢. ومعجم الأدباء ج ٤

٢ — ثم خصوا نساء النبي وأصهاره بالرضاع وبنائه بعدد من الكتب لا يُحصى، منها: كتاب « أمهات النبي » للمدائني الذي مر ذكره، وكتاب « أزواج النبي » لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية، وكان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً[1]، وكتاب « أزواج النبي » لابن الكلبي ... وآخر مثله للواقدي محمد بن عمرو المؤرخ الإخباري[2]، ثم كتاب « بنات النبي وأزواجه »، لأحمد الرقي الراوية الحفظة الثقة ذي التآليف الكثيرة[3]

٣ — وتكاموا على نساء المسلمين ممن أوتي الشهرة والملك في كتب شتى. منها كتاب « أمهات السبعة من قريش » لمحمد بن حبيب، وكان من علماء بغداد ومهرة مؤدبيها[4] وكتاب « أمهات الخلفاء » لابن الكلبي. وكتاب « من تزوج من نساء الخلفاء » للمدائني ... وغيرها

٤ — ثم ألفوا في أخبار النساء كتباً كثيرة، تعرّضوا فيها إلى أحوالهن ومعايشهن وطبائعهن وما يعجبن به أو يصدفن عنه وما قيل فيهن وروى عنهن. فقد ألف الجاحظ كتاباً أفرده على النساء وما يتصل بهن، وألف الهيثم بن عدي « كتاب النساء »، وصنّف هارون بن علي المنجم الأديب الشاعر الراوية النديم[5] كتابه في « أخبار النساء »، وألف المدائني كتاباً في « أخبار النساء » أيضاً. وكان الرقي كتاب في النساء، ولإبراهيم ابن القاسم الكاتب القيرواني الشاعر الرقيق[6] كتاب « النساء » قال عنه ياقوت « إنه كبير ». ولابن قتيبة العالم المؤرخ الأديب كتاب (النساء)[7]، وعمر بن خلف بن المرزبان كتاب (النساء والغزل)[8]

٥ — ثم ألفوا في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن، فأبانوا عن أحوالهن الدينية في كتب مختلفة منها كتاب (الحيض)

(١) مات سنة ٣٦٧. أنظر معجم الأدباء ج ١٨

(٢) أنظر وفيات الأعيان ج ٢

(٣) أنظر أخباره في الصفدي ـ ٢. ق ٢ ـ معجم الأدباء ج ٤

(٤) مات سنة ٢٤٥. أنظر معجم الأدباء ج ١٨

(٥) توفي سنة ٢٨٨. أنظر بغية الوعاة للسيوطي ومعجم الأدباء ج ١٨

(٦) مات سنة ٤٠٠. أنظر ياقوت الجزء الأول

(٧) الفهرست ص ٧٧

(٨) المصدر السابق ص ١٥٠

للقاسم بن سلام (أمام أهل عصره فى كل فن من العلم)[١] كما ذكر ياقوت . وكتاب (العدّة) و (الرضاع) و (الطلاق) و (الشغار)[٢] لمحمد بن إدريس الشافعى[٣]

٦ — وقد أفردوا التزيّن والتجمّل والتحلّى كتباً كثيرة ، ذلك لأنها أمور ذات شأن عند النساء ؛ فألّف أحمد بن سعد أبو الحسين ، الكاتب الشاعر[٤] كتاب (الثياب والحلى) ، وصنف أحمد بن فارس اللغوى[٥] كتاباً مثله . وجمع الرقى أصول (الزينة) و (التزيّن) فى كتابين . وألّف إسحاق بن إبرهيم الموصلى وغيره كتباً فى (الرقص والزفن) . ولم يقنعوا بذلك بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فألّف على بن محمد الظاهرى الميكالى الأديب المفاكه[٦] كتاب (فخر الشط على المرآة)

٧ — ورأوا أن الظرف أحلى خصائص المرأة ، فألّف محمد بن أحمد أبو الطيب النحوى[٧] وكان من أهل الأدب ، كتاب (المتظرفات) . وألّف أحمد بن أبى طاهر أحد البلغاء الشعراء الرواة كتاباً مثله ؛ وصنّف الرقّ كتاب : (المحبوبات والمكروهات) . وكان للمفجّع الشاعر الشيبى[٨] كتاب : (عرائس المجالس) . وكان هذا شاعراً حلواً . قال عنه الثعالبى : (شعره قليل ولكنه كثير الحلاوة) . ثم ألّفوا فيما يجب أن تكون عليه النساء ، وشروط عشرتهن من الرفق والرحمة والقسوة والغلظة ، ومن ذلك كتاب الشافعى فى (عشرة النساء)

٨ — ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة فى دورهن وسلّمهن بأزواجهن ، فألف الشافعى كتاب (أخلاق الزوجين) ، والمدائنى كتاب (من عجاها زوجها) ، و (من شكت زوجها) ، و (من مُيِّل عنها زوجها) ، و (من قتل عنها زوجها) ، و (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته) . وألف خالد بن طليق الراوية النسابة كتاب (المتزوجات)[١]

٩ — ثم تطرفوا فألفوا فى علاقة الرجل الجنسية بزوجه ... وهذه التآليف وافرة ولا جدوى فى التنويه بها

١٠ — ثم ذهبوا إلى أبعد من هذا فخصوا الشذوذ الجنسى عند المرأة بكتب وتآليف منها : كتاب (السحق) ، وكتاب (البغاء) ، وكتاب (برحان وحباحب) ، وهو فى أخبار النساء والباه ... ألفها محمد بن حسان النملى أحد الكتاب الأدباء فى عهد المعتصم[٢] . ومنها كتاب (السحاقات والبغائين) لمحمد بن إسحق الصميرى أبو العنبس[٣] وكان أديباً مليحاً ومجاناً لاذعاً

ولقد خصّ ابن النديم مسرداً لأسماء الكتب التى ألّفت فى « الجنائب المتظرفات » كـكتاب « ريحانة وقرنفل » ، وكتاب « رقية وخديجة » ، وكتاب « سكينة والرباب » ، وكتاب « سلمى وسعاد » ... وغيرها[٤]

١١ — وكما ألفوا فى أخبار السواقط وذوات الشذوذ ، فقد ألفوا فى الشواعر والنابهات والعواقل ؛ فهناك كتاب « أشعار النساء » لمحمد بن عمران المرزبانى[٥] الراوية الإخبارى ، وكتاب « العواقل » لابن الكلبى ... وغير ذلك

١٢ — ولقد عنوا أيضاً بأخبار القينات والجوارى والمغنيات والمسيمعات والنوائح وأسهات الأولاد ، فكتب الجاحظ كتاباً عن (القيان) ، وألف اسحاق بن ابراهيم الموصلى كتاباً مثله . وكان للمدائنى كتاب فى (القينات) ، وآخر فى (المغنيات)

---

(١) مات سنة ٢٢٤ . أنظر ياقوت ج ١٦ ، التذكرة ج ٢ ، الوفيات ج ١

(٢) جاء فى الصحاح : « الشغار بالكسر نكاح كان فى الجاهلية ، وهو أن يقول الرجل لآخر : زوجنى ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتى أو أختى . . . وفى الحديث (لا شغار فى الاسلام) . . . »

(٣) ولد سنة ١٥٠ مات سنة ٢٠٤

(٤) أنظر أخباره فى ياقوت ج ٣

(٥) مات سنة ٣٦٩هـ . أنظر معجم الأدباء ج ٤ ، نزهة الألباء

(٦) أنظر ياقوت ج ١٤ ، وبغية الوعاة للسيوطى

(٧) مات سنة ٣٢٥ . ياقوت ج ١٧ . نزهة الألباء

(٨) مات سنة ٣٢٧ . ياقوت ج ١٧

---

(١) فهرست ابن النديم ص ٩٥

(٢) الفهرست ـ معجم الأدباء ج ١٨

(٣) مات سنة ٢٧٥ . الفهرست ـ ياقوت ج١٨

(٤) الفهرست ص ٣٠٧ (طبعة أوربا)

(٥) ولد سنة ٢٩٧ مات سنة ٣٨٤ . أنظر ياقوت ج ١٨